ريش الطيور في البرانيط

رأينا بالامس ريشاً في برنيطة احدى السيدات اشتراهُ لها زوجها من باريس بخمس مئة فرنك وهو يحسب انها صفقة رابحة لم يشهدها حاطب . هذا الريش من طائر الفردوس أتي بهِ من جزائر الهند الشرقية فصيد ذلك الطائر وجلب ريشهِ يقتضيان نفقات كثيرة فلا عجب اذا بيع بثمن فاحش مثل هذا . والمغالاة بالاشياء النادرة سنة جرى عليها اصحاب الثروة وبها تتوزع الاموال فلا غبار عليها من هذا القبيل

ولبس الريش على الرأس للزينة والتباهي قديم جداً ولا يزال شائعاً في كل البلدان فتراهُ في الآثار المصرية القديمة التي يمتد تاريخها الى ثلاثة آلاف سنة او اكثر قبل المسيح حتى لقد أدخلت صورة ريش النعام بين حروف الهجاء المصرية . ولما وصل الاوربيون الى اميركا وجدوا الهنود سكانها يزينون رؤوسهم بالريش ولا يزال سكان جزائر المحيط يكثرون من استعمال الريش في زينتهم الى الآن . ومن الغريب ان اهالي اوربا لم يستعملوا الريش للزينة في عصر التاريخ الاَّ منذ اواخر القرن الثالث عشر وكان اكثر اهتمامهم حينئذٍ بريش النعام كما يرى في صور القلانس التي كان يلبسها ملوكهم مثل ادورد الثالث وريتشرد الثاني من ملوك الانكليز واستعمل الريش في الحلل العسكرية اولاً في زمن الملك هنري الخامس في اوائل القرن الخامس عشر وكثر استعمالهُ جداً في اواخر ذلك القرن . وشرعت النساء يلبسنهُ في برانيطهنَّ في اواسط القرن السادس عشر واكثرن من لبسهِ في زمن الملكة اليصابات ومن ثم الى الآن وهن يتبارين بوضع الريش على برانيطهنَّ وادخالهِ في ملابسهنَّ ولا يقتصرن على ريش النعام بل يستعملن ريش انواع كثيرة من الطيور

وكان ريش النعام يجلب من افريقية حيث يصاد النعام لاجلهِ وفي ذلك من المشقة ما فيهِ ثم جعل البعض يربونهُ لهذه الغاية ومن هذا القبيل دار النعام في المطرية قرب القاهرة يربَّى فيها النعام حتى يتكامل ريشهُ ثم ينتف

وريش النعامة البالغة رمادي اغبر وبعضهُ ابيض ولكنهُ قلما يكون ناصع البياض وريش الظليم اكثرهُ اسود فاحم وبعضهُ ابيض يقق وبعضهُ بين بين واثمنهُ الاسود والابيض اما قبل ان يبلغا اشدهما فيكون لون الذكر مشابهاً للون الانثى القليل الرواء ومتى صار عمر الذكر سنتين نبت لهُ الريش الاسود الفاحم الذي يمتاز بهِ

ويبقى النعام حيًّا ينتف ريشهُ اربعين سنة او اكثر اذا اعتني بهِ الاعتناء الواجب ولم

ينتف ريشهُ الاَّ مرة في السنة واما اذا نتف كل ثمانية اشهر او تسعة لم تمضِ عليهِ خمس سنوات حتى يظهر الضعف فيهِ والانحطاط في ريشهِ

الاَّ ان تجار الريش وواضعي ازياء النساء لم يكتفوا بريش النعام بل اغروا النساء بكل نوع من الريش الملون وغير الملون من ريش الطاووس وطائر الفردوس الى ريش الغراب الفاحم والبومة القبيح المنظر، ومما يسهل على كل احد الوصول اليهِ كريش الدجاج الى ما تُقشَّم المشاق في صيدهِ كطائر الفردوس . ولقد كان الناس ينالون بريش هذا الطائر من قديم الزمان حتى يظن انهُ هو الطائر الذي رآهُ عاصم افندي مترجم القاموس الى اللغة التركية وقال ان لونهُ قريب من الزرقة وفي ذنبهِ جمة ريش منقط ونظراً لهذا الريش اشتراهُ احد الاعيان بذهب وافر واهداهُ الى السلطان سليم (انظر مقتطف ابريل سنة ١٩١٠ صفحة ٣٦٨)

وقد وصف الدكتور الفرد رسل ولس الذي نعاهُ البرق حديثاً طائراً من طيور الفردوس فقال « ان جسمهُ وجناحيهِ وذنبهُ سمراء بنيَّة وتشتد سمرتهُ عند صدرهِ حتى يصير بنفسجياً او اسمر قرمزياً واعلى رأسهِ ورقبتهِ اصفر بنياً وريشهُ هناك قصير كالخمل وريش اسفل عنقهِ اخضر زمردي شديد اللمعان وهو كفلوس السمك شكلاً . وفوق منقارهِ ريش شديد الخضرة يصل الى ما حول عينيهِ . وعيناهُ صفراوان يرَّاقتان ومنقارهُ ابيض الى الزرقة وفي ذنبهِ ريشتان طويلتان دقيقتان جداً يبلغ طولها قدمين الى قدمين ونصف قدم ويبرز من تحت جناحيهِ ريش غزير دقيق يبلغ طولهُ نحو قدمين لونهُ برتقالي ذهبي لمَّاع رؤوسهُ تضرب الى الحمرة وهو ينفش هذا الريش احياناً حتى يغطي بدنهُ » ثم قال انهُ رأى مرة نحو عشرين طائراً من طيور الفردوس على شجرة وقد نفشت ريشها وجعلت تتنفض وتتنقل من غصن الى آخر حتى خال الشجرة كلها صارت ريشاً بديعاً على ضروب شتى من الحركات والسكنات . وهذا التزويق خاص بالذكر واما الانثى فريشها اسمر بني

والظاهر ان تجارة الريش غير قديمة في اوربا وانها ابتدأت في جنوى وبيزا والبندقية في القرون الوسطى وامتدت الى فرنسا في القرن السادس عشر فذُكر تجار الريش في زمن الملك هنري الثالث سنة ١٥٨٢ واعطوا بعض الامتيازات في زمن الملك لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر في القرن السابع عشر وانشئ محل في باريس لتحضير ريش النعام للزينة سنة ١٨٠٢ . والآن يشتغل بهذه الصناعة في باريس وحدها اكثر من خمسين الف نفس ويبيعون في السنة من الريش ما ثمنهُ اربعة ملايين من الجنيهات . اما تجارة الانواع الاخرى من الريش فلم تبتدىء في اوربا الاَّ في اوائل القرن الثامن عشر وقد صورت

رئيس من هنود اميركا

من اهالي اوغندا بافريقية

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٦٦٥

صورة الملكة ماري انطوانت وهي لابسة ريش النعام وريش الطائر المعروف باسم مالك الحزين

ثم لما شاع استعمال البنادق للصيد في اواسط القرن الماضي جعل الصيادون يصيدون الطيور بكثرة لاكل لحمها او للمتاجرة بريشها فكادوا يقرضون الطيور المزوقة من اميركا الشمالية والجنوبية حتى ان الطائر الصغير القد المعروف بالطنان كاد يقرض لكثرة ما كان يصاد منهُ سنويًّا لتزيين البرانيط اما وقد قلَّ استعمالهُ الآن في تزيينها فمن المرجح انهُ يعود الى كثرتهِ الاولى . وقد يكون الطائر الذي يصاد لريشهِ جميلاً جدًّا كالطنان وطائر الفردوس وقد يكون من اقبح الطيور منظراً كالطائر الافريقي المعروف بابي صعن المرسوم ههنا فانهُ يصاد للريش الابيض الناصع البياض الذي تحت جناحيهِ وهو من اثمن انواع الريش ويعرف عادة بريش المرابو وفي ما سوى ذلك فهذا الطائر من اقبح الطيور منظراً وعجباً

ولقد اهتمَّ كثيرون من الفضلاء الآن بمنع صيد الطيور لاجل ريشها وألَّفوا لجانًا كثيرة لذلك واستعانوا بالحكومات لانهم يعدُّون صيدها لهذه الغاية قساوة وحشية وجريمة لا تغتفر ولكنهم لا يحرمون ذبح ما يربونهُ من الطيور للاكل ولا صيد ما في حراجهم من انواع الطير والوحش ولا تجنيد الناس لقتل بعضهم بعضاً . لا شبهة ان وضع بعض الطيور على الرأس كالغربان والصقور لا شيء فيهِ من الزينة كوضع الريش الجميل المنظر مثل ريش النعام والطاووس والشقراق وطير الفردوس ولكن قتل الطيور لاكل لحمها ليس احل من قتلها لتتزين بريشها لانهُ قتل على كل حال

واذا كانت الطيور نافعة للزراعة باكلها الحشرات الضارة فمنع صيدها امر واجب للانتفاع بها ولكن ان كانت لا تأكل الحشرات ولا تفيد الزراعة فائدة تذكر صارت مثل غيرها من الطيور التي لا يرجى منها نفع ولا يخشى منها ضر فاذا جاز قتل الواحدة جاز قتل الاخرى واذا حُرِّم قتل هذه حُرِّم قتل تلك . وزد على ذلك ان الطيور التي يستعمل ريشها في الزينة لها قيمة معاشية فقد تقدم ان ستين الفاً من العمال يعيشون بصناعة الريش في باريس وحدها فاذا فرضنا ان كل واحد منهم يقوم بمعيشة اثنين معهُ فهذه الصناعة تقوم بمعيشة ١٨٠ الف نفس من سكان باريس تأخذ الاموال من الغنيات المترفهات وتوزعها على هؤلاء العمال وعيالهم . اما نساء الاواسط والفقراء اللواتي يتمثلنَّ بالغنيات في الانفاق على زينتهنَّ فيجب ان يُصرَفْنَ عن اسرافهنَّ بما يمكن من الوسائل التي لا تضرُّ بغيرهنَّ . وعلى كل حال لا يحسن ان يستأصل طائر جميل المنظر لاي سبب كان